| | |
|---|---|
| جمهورية مصر العربية | ١٤رجب١٤٤٢ هـ |
| وزارة الأوقاف | ٢٦ فبراير٢٠٢١م |

(١)

## مكارم الأخلاق وأثرها في بناء الحضارات

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلـهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه ورسوله، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ، وعلَى آلِهِ وصحبِهِ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الدعوة إلى مكارم الأخلاق من القواسم المشتركة بين جميع الأديان السماوية، فحيثما وُجدت الأخلاق وُجد صحيح الدين، وها هو نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) قد ختم الله (عز وجل) به الرسالات السابقة، ليجمع مكارم الأخلاق ويتممها، حيث يقول سبحانه: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}، ويقول تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) عن نفسه: (إِنّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ).

والمتأمل في حياة نبينا (صلى الله عليه وسلم) يجد أنها كانت تطبيقًا عمليًّا لأخلاق القرآن الكريم وقِيَمِه السامية، التي تتسق والفطرة الإنسانية السوية، فحينما سئلت السيدة عائشة (رضي الله عنها) عن أخلاقه (صلى الله عليه وسلم)، قالت: (كان خُلُقُه القُرآنَ)، فكان (صلى الله عليه وسلم) قرآنًا يمشي على الأرض.

كما أن المتدبر في العبادات التي أمر بها الإسلام يجد أنها جاءت لترتقي بالأخلاق، وتهذبها؛ فما من فريضة فرضها الإسلام إلا ولها أثر أخلاقي يعود على من يقوم بها، وعلى المجتمع كله؛ يقول سبحانه: {إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ}، ويقول تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}، ويقول (جل

شأنه): {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، ويقول (عز وجل): {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ}.

إنَّ الأخلاق الفاضلة من أهم ركائز قيام الدول والحضارات، واستقرارُ الدول ودوامُها يعود إلى مدى تمسكها بالقيم النبيلة والأخلاق الحميدة، وقد خلَّد التاريخ بحروف من نور النجاشي ملك الحبشة، الذي اشتهر بالعدل ومكارم الأخلاق، فحينما اشتد أذى المشركين لنبينا (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه، أشار عليهم (صلى الله عليه وسلم) أن يهاجروا إلى الحبشة؛ لعلمه أن ملكها صاحب أخلاق راقيةٍ، ومبادئ قويمة، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا، وَمَخْرَجًا).

إنَّ الأمم والحضارات لا يمكن أن تبنى بناءً سديدًا إلا إذا اعتمدت في أسس بنائها على مكارم الأخلاق؛ فلا تتقدم أمة بدون الصدق والأمانة، ولا يستقيم بنيانها بدون الانضباط السلوكي، ولا تقوى بدون الإعداد، والشجاعة، ولا تتآلف بدون التآخي، والتكاتف، فالأمة الواحدة تشبه الجسد الواحد الذي يتعاون أعضاؤه على خدمته، وسلامته، ولا يكتمل الإيمان إلا باكتمال التحابِّ، والتآلف، والتعاون، حيث يقول تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ}، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).

****

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم )، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن التحلي بمكارم الأخلاق صمام أمان للمجتمعات من الانحلال والفوضى والضياع، وبزوالها تسقط الأمم، فكم من حضارات انهارت بتردي أخلاقها، وقد ذكر القرآن الكريم نماذج لأمم هلكت بسبب بعدها عن الأخلاق، حيث يقول سبحانه: {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}، ويقول تعالى: {فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ}، ويقول (جل شأنه): {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ}.

والمتأمل في جوهر الحضارة الإسلامية يجدها حضارة قيم وأخلاق، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (أَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا).

فما أحوجنا إلى التحلي بمكارم الأخلاق، حتى نسهم في رقي بلادنا، وتقدمها، ونهضتها، فالأخلاق سياج الأمم، وميزان تقدمها ورقيها، وعنوان عظمتها وخلودها.

**اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واحفظ بلادنا من كل مكروه.**